ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

ذكر موت الفضل بن يحيى[1]

في هذه السنة مات الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بالرقّة، وكانت علّته: أنه أصابه ثقل في لسانه [وشقه] فعولج أشهراً فبرأ، وكان يقول: ما أحب أن يموت الرشيد؛ لأن أمري قريب من أمره[1].

ج٥/١٢٨/ط فلما/ صحّ من علّته وتحدّث، عادته العلة، واشتدّت عليه، وانعقد لسانه وطرفه، فمات في المحرّم، وصلى عليه إخوانه في القصر الذي كانوا فيه، ثم أخرج فصلى عليه الناس، وجزع الناس عليه[2].

وكان موته قبل الرشيد بخمسة أشهر وهو ابن خمس وأربعين سنة، وكان[2] من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله، ولاشتهار أخباره وأخبار أهله وحسن سيرتهم لم نذكرها[3].

وفيها مات: سعيد الطبري المعروف بالجوهري[4].

وفيها كانت وقعة بين هرثمة وأصحاب رافع، كان الظفر لهرثمة، وافتتح بخارى،

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٤٤) و (١٠/ ٦٤٦)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٠)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (١/ ٤٤٧) مختصراً، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٣٠) بمعناه، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٨).

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٣٩٢) و (٣/ ٣٩٥)، وذكره ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٤٠).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤١).

---

(1) في المخطوطة: يحي البرمكي.

(2) في المخطوطة: وكان ﷺ.

وأسر بشيراً أخا رافع، فبعث به إلى الرشيد[١].

ذكر موت الرشيد

وفي هذه السنة مات الرشيد أول جمادى الآخرة لثلاث خلون منه، وكانت قد اشتدّت علّته بالطريق بجرجان، فسار إلى طوس فمات بها[٢].

قال جبرائيل بن بختيشوع: كنت مع الرشيد بالرقّة، وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة، أتعرَّف حاله في ليلته، ثم يحدّثني وينبسط إليَّ، ويسألني عن أخبار العامة، فدخلت عليه يوماً فسلّمت عليه، فلم يكد يرفع طرفه، ورأيته عابساً مفكّراً مهموماً، فوقفت مليًّا من النهار وهو على تلك الحال، فلما طال ذلك أقدمت فسألته عن حاله، وما سببه؟ فقال: إن فكري وهمّي[1] لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه قد أفزعتني، وملأت صدري. فقلت: فرجت عني يا أمير المؤمنين، ثم قبّلت يده ورجله وقلت: الرؤيا إنما تكون لخاطر أو بخارات رديئة، وتهاويل السوداء، وهي أضغاث أحلام قال: فإني أقصها عليك: رأيت كأني جالس على سريري هذا، إذ بدت من تحتي ذراع أعرفها وكفّ أعرفها، لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكف تربة حمراء، فقال لي قائل أسمعه ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تدفن فيها، فقلت: وأين هذه التربة؟ قال: طوس، وغابت اليد وانقطع الكلام، فقلت: أحسبك لما أخذت مضجعك فكرت في خراسان، وما ورد عليك منها، وانتقاض بعضها، فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا، فقال: كان ذلك[2]، فأمرته باللهو والانبساط، ففعل، ونسينا الرؤيا وطالت الأيام[٣].

ثم سار إلى خراسان لحرب رافع، فلما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلّة، فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس، فبينا هو يمرض في بستان في ذلك القصر الذي هو فيه، إذ

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٤٦) بمعناه.

(٢) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٨)، وذكره العظيمي في «تاريخ حلب» (٢٣٧)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣/ ٣٧٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٩)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ١٥٨).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٢، ٣٤٣)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ١٥٩).

---

(1) في المخطوطة: عمر لي.

(2) في المخطوطة: ذلك قال.

ذكر تلك الرؤيا، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط، فاجتمعنا [إليه] نسأله فقال: أتذكر رؤياي بالرقّة في طوس؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال: جئني من تربة هذا البستان، فأتاه[1] بها في كفّه حاسراً عن ذراعيه، فلما نظر إليه قال: هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي، وهذه الكفّ بعينها، وهذه التربة الحمراء، ما خرمت شيئاً، وأقبل على البكاء والنحيب، ثم مات بعد ثلاثة[١].

قال أبو جعفر: لما سار الرشيد عن بغداد إلى خراسان بلغ جرجان في صفر ـ وقد اشتدّت علّته ـ فسير ابنه المأمون إلى مرو، وسير معه من القوّاد عبد الله بن مالك، ويحيى بن معاذ، وأسد بن يزيد، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، والسندي الحرشي، ونعيم بن حازم وسار الرشيد إلى طوس واشتد[2] به الوجع؛ حتى ضعف عن الحركة، فلما أثقل أرجف به الناس، فبلغه ذلك، فأمر بمركوب ليركبه ليراه الناس، فأتي بفرس فلم يقدر على النهوض، فأتي ببرذون فلم يطق[3] النهوض، فأتي بحمار فلم ينهض، فقال: ردّوني! ردّوني! صدق والله الناس[٢].

ووصل إليه ـ وهو بطوس ـ بشير بن الليث أخو رافع أسيراً، فقال الرشيد: والله لو لم يبق من أجلي إلا/ أن أحرّك شفّتي بكلمة لقلت: اقتلوه، ثم دعا بقصّاب، فأمر به، ففصّل أعضاءه، فلما فرغ منه أغمي عليه، وتفرّق الناس عنه[٣]. ج٥/١٢٩/ط

فلما أيس من نفسه أمر بقبره، فحفر في موضع من الدار التي كان فيها، وأنزل إليه[4] قوماً، فقرأوا فيه القرآن حتى ختموا ـ وهو في محفّة على شفير القبر يقول ـ: ابن آدم تصير/ إلى هذا وكان يقول في تلك الحال: واسوأتاه من رسول الله ﷺ[٤]. ج٥/٤٢/أ

وقال الهيثم بن عدي: لما حضرت الرشيد الوفاة غشي عليه، ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه، فقال: يا فضل:

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٤).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤١).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٢).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٨٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٤٦، ٦٤٧)، وذكره ابن أعثم في «الفتوح» (٨/ ٤٢٧) مختصراً.

---

(1) في المخطوطة: فجآه.
(2) في المخطوطة: واشتدت.
(3) في المخطوطة: يطق على.
(4) في المخطوطة: فيه.

أحِينَ دَنا ما كُنتُ أرْجُو دنوّهُ رَمَتْنِي عُيونُ النّاسِ مِن كُلِّ جَانِبِ
فأصبَحتُ مَرحوماً وكنتُ محسَّداً فصَبراً علَى مَكرُوهِ أمنَ[1] العَواقِبِ
سَأَبْكِي علَى الوَصْلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنا وأَنْدُبُ أيَّامَ السّرُورِ الذَّواهِبِ

قال سهل بن صاعد: كنت عند الرشيد ـ وهو يجود بنفسه ـ فدعا بملحفة غليظة فاحتبى بها، وجعل يقاسي ما يقاسي، فنهضت فقال: اقعد، فقعدت طويلاً لا يكلمني ولا أكلمه، فنهضت، فقال: أين يا سهل؟ فقلت: ما يتّسع قلبي يا أمير المؤمنين، تعاني من المرض ما تعاني، فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين! فضحك [2]ضحكاً صحيحاً[2]، ثم قال: يا سهل، أذكر في هذه الحال قول الشاعر:

وإني مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ يَزيدُهُم شِمَاساً وصَبْراً شِدّةُ الحَدَثَانِ[1]

ثم مات، وصلّى عليه ابنه صالح، وحضر وفاته الفضل بن الربيع، وإسماعيل بن صبيح، ومسرور، وحسين، ورشيد، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة [وشهرين وثمانية عشر يوماً، وقيل: ملك ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً] وستة عشر يوماً، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان جميلاً، وسيماً، أبيض، جعداً قد وخطه الشيب.

قال: وكان في بيت المال لما توفي تسعمائة ألف ألف ونيف[٢].

ذكر ولاة الأمصار[3] أيام الرشيد

ولاة المدينة: إسحاق [بن عيسى] بن علي، عبد الملك بن صالح بن علي، محمد بن عبد الله، موسى بن عيسى بن موسى، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، علي بن عيسى بن موسى، محمد بن إبراهيم، عبد الله بن مصعب، بكار بن عبد الله بن مصعب، محمد بن علي، أبو البختري، وهب بن منبّه[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٤).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٥، ٣٤٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٤٧).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٦).

---

(1) في المخطوطة: من.
(2-2) في المخطوطة: صحك صحيح.
(3) في المخطوطة: في أيام.

ولاة مكة: العباس بن محمد بن إبراهيم، سليمان بن جعفر بن سليمان، موسى بن عيسى بن موسى، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، عبد الله بن قثم بن العباس، عبيد الله بن قثم، عبد الله بن محمد بن عمران، عبيد الله بن محمد بن إبراهيم، العباس بن موسى بن عيسى، علي بن موسى بن عيسى، محمد بن عبد الله العثماني، حماد البربري، سليمان بن جعفر بن سليمان، الفضل بن العباس بن محمد، أحمد بن إسماعيل بن علي[١].

ولاة الكوفة: موسى بن عيسى بن موسى، [محمد بن إبراهيم، عبيد الله بن محمد بن إبراهيم]، يعقوب بن أبي جعفر، موسى بن عيسى بن موسى، العباس بن عيسى بن موسى، إسحاق بن الصبّاح الكندي، موسى بن عيسى بن موسى، العباس بن عيسى بن موسى، [موسى بن عيسى بن موسى، جعفر بن أبي جعفر][٢].

ولاة البصرة: محمد بن سليمان بن علي، سليمان بن أبي جعفر، عيسى بن جعفر بن أبي جعفر،/ خزيمة بن خازم، عيسى بن جعفر، جرير بن يزيد، جعفر بن سليمان، جعفر بن أبي جعفر، عبد الصمد بن علي، مالك بن علي الخزاعي، إسحاق بن سليمان بن علي، سليمان بن أبي جعفر، عيسى بن جعفر، الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين. [عيسى بن جعفر بن أبي جعفر، جرير بن يزيد، عبد الصمد بن علي]، إسحاق بن عيسى بن علي[٣]. ج٥/١٣٠/ط

ولاة خراسان: أبو العباس الطوسي، جعفر بن محمد بن الأشعث، العباس بن جعفر، الغطريف بن عطاب، سليمان بن راشد.

على الخراج: حمزة بن مالك، الفضل بن يحيى بن خالد، منصور بن يزيد بن منصور، جعفر بن يحيى، وخليفته بها [1]علي بن عيسى بن ماهان، هرثمة بن أعين، العباس بن جعفر، للمأمون بها، [علي بن] الحسن بن قحطبة[1][٤].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٦).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٦).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧).

(1-1) في المخطوطة: الحسن بن قحطبة علي بن عيسى بن ماهان هرثمة بن أعين بن جعفر للمأمون بها.

ذكر نسائه وأولاده

قيل: تزوج زبيدة - وهي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور - وأعرس بها سنة خمس وستين ومائة، فولدت محمداً الأمين وماتت سنة ست وعشرين ومائتين[١].

وتزوج أمة العزيز أم ولد الهادي، فولدت له علي بن الرشيد، وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين، وتزوج العباسية بنت سليمان بن المنصور، وتزوج عزيزة ابنة خاله الغطريف، وتزوج العثمانية وهي ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وجدة أبيها فاطمة بنت الحسين بن علي[1].

ومات الرشيد عن أربع مهائر: زبيدة، وأم محمد بنت صالح، وعباسة، والعثمانية[٢].

وكان قد ولد له من الذكور: محمد الأمين من زبيدة، وعبد الله المأمون لأم ولد اسمها مراجل، والقاسم المؤتمن، وأبو إسحاق محمد المعتصم، وصالح، وأبو عيسى محمد، وأبو يعقوب محمد، وأبو العباس محمد، [وأبو سليمان محمد]، وأبو علي محمد، وأبو محمد وهو اسمه، وأبو أحمد محمد، كلهم لأمهات أولاد، وله من البنات سكينة، وأم حبيب، وأروى، وأم الحسن، وأم محمد وهي حمدونة، وفاطمة، وأم أبيها، وأم سلمة، وخديجة، وأم القاسم، ورملة، وأم جعفر، وأم علي، والغالية، وريطة، كلهن لأمهات أولاد[٣].

ج٥ / ٤٢/ب

ذكر بعض سيرته/

قيل: كان الرشيد يصلي كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، إلا من مرض[٤].

وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم بعد زكاته[٥].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٥٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٦).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٥٩، ٣٦٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٧).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٦٠).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧)، وذكره ابن طباطبا في «الفخري» (١٩٣).
(٥) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧).

(1) في المخطوطة: علي عليها.

وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، فإذا لم يحج أحج ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة، والكسوة الطاهرة[١].

وكان يطلب العمل بآثار المنصور إلا في بذل المال، فإنه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر ذلك[٢].

وكان يحب الشعر والشعراء، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين، وكان يحب المديح لا سيما من شاعر فصيح، ويجزل العطاء عليه[٣].

ولما مدحه مروان بن أبي حفصة بقصيدة التي منها:

وَسُدَّتْ بِهَارُونَ الثُّغُورُ فَأُحْكِمَتْ[1] بِهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ الْمَرَائِرُ[٤]/ ج٥/١٣١/ط

أعطاه خمسة آلاف دينار، وخلعة، وعشرة من الرقيق الرومي، وبرذوناً من خاص مركبه[٥].

وقيل: كان مع الرشيد ابن أبي مريم المديني، وكان مضحاكاً فكهاً، يعرف أخبار أهل الحجاز، وألقاب الأشراف، ومكايد المجان، فكان الرشيد لا يصبر عنه وأسكنه في قصره، فجاء ذات ليلة وهو نائم فقام[2] الرشيد إلى صلاة الفجر فكشف اللحاف عنه وقال: كيف أصبحت؟ فقال: ما أصبحت بعد، اذهب إلى عملك. قال: قم إلى الصلاة! قال: هذا وقت صلاة أبي الجارود، وأنا من أصحاب أبي يوسف، فمضى الرشيد يصلي، وقام ابن أبي مريم وأتى الرشيد فرآه يقرأ في الصلاة ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[٦]، فقال: ما أدري والله! فما تمالك الرشيد أن ضحك، ثم قال ـ وهو مغضب ـ: في الصلاة أيضاً؟ قال: ما صنعت؟ قال: قطعت علي صلاتي. قال: والله ما فعلت، إنما سمعت منك كلاماً غمّني حين قلت: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[٦] فقلت: لا أدري! فعاد الرشيد الضحكة، ثم

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٤٧)، وذكره ابن أعثم في «الفتوح» (٨/ ٤٣١).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ١٦٣).
(٥) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٩).
(٦) سورة: يسّ، الآية: ٢٢.

(1) في المخطوطة: وأحكمت.
(2) في المخطوطة: وقام.

قال له: إياك والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما[١].

وقيل: استعمل يحيى بن خالد رجلاً على بعض أعمال الخراج، فدخل على الرشيد يودعه، وعنده يحيى وجعفر، فقال لهما الرشيد: أوصياه! فقال يحيى: وَقِّرْ واعمر! وقال جعفر: انصف وانتصف! فقال الرشيد:/ اعدل وأحسن، وقيل: حج الرشيد مرة، فدخل الكعبة، فرآه بعض الحجبة وهو واقف على أصابعه يقول: يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، فإن لكل مسألة منك رداً حاضراً وجواباً عتيداً، ولكل صامت منك علم محيط، ناطق بمواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة، صلِّ على محمد [وعلى آل محمد]، واغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا، يا من لا تضره الذنوب ولا تخفى عليه الغيوب، ولا تنقصه مغفرة الخطايا، يا من كبس الأرض على الماء، وسدّ الهواء بالسماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وخر لي في جميع أموري، يا من خشعت له الأصوات بأنواع اللغات، يسألونه الحاجات، إن من حاجتي إليك أن تغفر لي ذنوبي إذا توفيتني، وصيرت في لحدي، وتفرّق عني أهلي وولدي، اللهم لك الحمد حمداً يفضل كل حمد كفضلك على جميع الخلق، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، صلاة تكون له رضاً، وصلِّ عليه صلاة تكون له ذخراً، واجزه عنا الجزاء الأوفى، اللهم: أحينا سعداء، وتوفنا شهداء، واجعلنا سعداء مرزوقين، ولا تجعلنا أشقياء مرجومين[٢].

ج٥/١٣٢/ط

وقيل: دخل ابن السماك على الرشيد فبينما هو عنده إذ طلب ماء، فلما أراد شربه قال له ابن السماك: مهلاً يا أمير المؤمنين، بقرابتك من رسول الله ﷺ، لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. قال: اشرب. فلما شرب قال: أسألك بقرابتك من رسول الله [ﷺ]، لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي. قال: إن ملكاً لا يساوي شربة ماء، وخروج بولة لجدير أن لا ينافس فيه! فبكى الرشيد[٣].

وقيل: كان الفضيل بن عياض يقول: ما من نفس أشد عليَّ موتاً من هارون الرشيد، ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره، فعظم ذلك على أصحابه، فلما مات

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٤٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٤٨).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٥٥).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٥٧).

وظهرت الفتن، وكان من المأمون ما حمل الناس عليه من القول بخلق القرآن، قالوا: الشيخ أعلم بما تكلم به[١].

وقال محمد بن منصور البغدادي: لما حبس الرشيد أبا العتاهية جعل عليه عيناً يأتيه بما يقول، فرآه يوماً قد كتب على الحائط:

أمَـــا واللهِ إنَّ الـــظُّـــلْـــمَ لُـــؤْمٌ ... وَمَـــا زَالَ الـــمُـــسِـــيءُ هُـــوَ الـــظَّـــلُـــومُ
إلى دَيَّـــانِ يَـــوْمِ الـــدِّيْـــنِ نَـــمْـــضِـــي ... وَعِـــنْـــدَ اللهِ تَجْـــتَـــمِـــعُ الخُـــصُـــومُ

فأخبر بذلك الرشيد، فبكى، وأحضره، واستحله، وأعطاه ألف دينار[٢].

وقال الأصمعي: صنع الرشيد يوماً طعاماً كثيراً، وزخرف مجالسه، وأحضر أبا العتاهية، فقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فقال:

عِـــشْ مَـــا بَـــدا لَـــكَ سَـــالِماً ... فِـــي ظِـــلِّ شَـــاهِـــقَـــةِ الـــقُـــصُـــورِ/ ج٥/١/٤٣

فقال: أحسَنتَ! ثم قال: ماذا؟ فقال:

يُـــسْـــعَـــى عَـــلَيْكَ بِـــمَـــا اشْـــتَـــهَـــيْـــ ... تَ لَـــدَى الـــرَّوَاحِ وفِـــي الـــبُـــكُـــورِ/ ج٥/ط/١٣٣

فقال: أحسنت! ثم ماذا؟ فقال:

فَـــإِذَا الـــنُّـــفُـــوسُ تُـــقَـــعْـــقَـــعَـــتْ ... فِـــي ظِـــلِّ حَـــشْـــرَجَـــةِ الـــصَّـــدورِ
فَـــهُـــنَـــاكَ تَـــعْـــلَـــمُ مُـــوقِـــنـــاً ... مَـــا كُـــنْـــتَ إلا فِـــي غُـــرُورِ

فبكى الرشيد، وقال[1] الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحَزنته، فقال: دعه، فإنه رآنا في عَمَى، فكره أن يزيدنا[٣].

خلافة[2] الأمين

وفي هذه السنة بويع الأمين بالخلافة في عسكر الرشيد، صبيحة الليلة التي توفي فيها، وكان المأمون حينئذٍ بمرو، فكتب حمويه مولى المهدي، صاحب البريد إلى نائبه

(١) ذكره البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٢).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٤/ ٥١).
(٣) ذكره ابن طبابا في «الفخري» (١٩٣، ١٩٤).

(1) في المخطوطة: فقال.
(2) في المخطوطة: ذكر خلافة.

ببغداد - وهو سلام أبو مسلم - يعلمه بوفاة الرشيد، فدخل أبو مسلم على الأمين فعزاه، وهنّأه بالخلافة، فكان أول الناس فعل ذلك[١].

وكتب صالح بن الرشيد إلى أخيه الأمين يخبره بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم، وأرسل معه الخاتم، والقضيب، والبردة، فلما وصل رجاء انتقل الأمين من قصره بالخلد إلى قصر الخلافة، وصلى بالناس الجمعة، ثم صعد المنبر فنعى الرشيد، وعزى نفسه والناس، ووعدهم الخير وأمن الأبيض والأسود، وفرق في الجند الذين ببغداد رزق أربعة وعشرين شهراً، ودعا إلى البيعة، فبايعه جلة أهل بيته وكل عم ابنه، وأمر سليمان بن المنصور بأخذ البيعة على القوّاد وغيرهم، فأمر السندي أيضاً بمبايعة من عداهم[٢].

ذكر ابتداء الاختلاف بين الأمين والمأمون

في هذه السنة ابتدأ الاختلاف بين الأمين والمأمون ابني الرشيد، وكان سبب ذلك: أن الرشيد لما سار نحو خراسان، وأخذ البيعة للمأمون على جميع من في عسكره من القواد وغيرهم، وأقر له بجميع ما معه من الأموال وغيرها، على ما سبق ذكره، عظم على الأمين ذلك، ثم بلغه شدة مرض الرشيد، فأرسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتباً، وجعلها في قوائم صناديق المطبخ، وكانت منقورة، وألبسها جلود البقر، وقال: لا تظهرن أمير المؤمنين ولا غيره على ذلك، [حتى يموت أمير المؤمنين]، ولو قتلت، فإذا مات فادفع إلى كل إنسان منهم ما معك[٣].

فلما قدم بكر بن المعتمر طوس، بلغ هارون قدومه، فدعا به وسأله عن سبب قدومه، فقال: بعثني الأمين لآتيه بخبرك. قال: فهل معك كتاب؟ قال: لا، فأمر بما معه ففتش، فلم يصيبوا شيئاً، فأمر به فضرب، فلم يقر بشيء فحبسه وقيّده، ثم أمر الفضل بن الربيع بتقريره، فإن أقر وإلا أضرب عنقه، فقرره فلم يقر بشيء، ثم غشي على الرشيد

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٦٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٦٥)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٣٣)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ١٦٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٢٨٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٩/ ٢١٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٦٥، ٣٦٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٢٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٩/ ٢١٩).

فصاح النساء، فأمسك الفضل عن قتله وحضر عند الرشيد، فأفاق ـ وهو ضعيف ـ قد شغل عن بكر وغيره، ثم مات[١].

وكان بكر قد كتب إلى الفضل يسأله أن لا يعجّل في أمره بشيء، فإن عنده أشياء يحتاج إلى عملها، فأحضره الفضل، وأعلمه بموت الرشيد، وسأله عما عنده، فخاف أن يكون الرشيد حياً، فلما تيقّن موته أخرج الكتب التي معه وهي كتاب إلى أخيه المأمون يأمره بترك الجزع،/ وأخذ البيعة على الناس لهما ولأخيهما المؤتمن، ولم يكن المأمون حاضراً، كان بمرو، وكتاب إلى أخيه صالح يأمره بتسيير العسكر واستصحاب ما فيه، وأن يتصرف هو ومن معه برأي الفضل، وكتاب إلى الفضل يأمره بالحفظ والاحتياط على ما معه من الحرم والأموال وغير ذلك، وأقر كل من كان إليه عمل على عمله كصاحب الشرطة، والحرس، والحجابة[٢]. ج٥/١٣٤/ط

فلما قرأوا الكتب تشاوروا هم والقوّاد في اللحاق بالأمين، فقال الفضل بن الربيع: لا أدع ملكاً حاضراً لآخر ما أدري ما يكون من أمره، وأمر الناس بالرحيل، فرحلوا محبة منهم لأهلهم ووطنهم، وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون[٣].

فلما بلغ المأمون ذلك جمع من عنده من قوّاد أبيه، وهم: عبد الله بن مالك، ويحيى بن معاذ، وشبيب بن حميد بن قحطبة، والعلاء مولى هارون وهو على حجابته، والعباس بن المسيب بن زهير وهو على شرطته، وأيوب بن أبي سمير وهو على كتابته، وعبد الرحمٰن بن عبد الملك بن صالح، وذو الرياستين، وهو أعظمهم عنده قدراً وأخصّهم به، واستشارهم فأشاروا أن يلحقهم في ألفي فارس جريدة، فيردّهم، فخلا به ذو الرياستين، وقال: إن فعلت ما أشار به هؤلاء/ جعلوك هدية إلى أخيك، ولكن الرأي أن تكتب إليهم كتاباً وتوجه رسولاً يذكرهم البيعة، ويسألهم الوفاء، ويحذّرهم الحنث، وما فيه دنيا وآخرة، ففعل ذلك[٤]. ج٥/١٣٥/ط

ووجه سهل بن صاعد، ونوفلاً الخادم، ومعهما كتاب فلحقا الجند، والفضل

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٦٦).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٦٦) و(٨/ ٣٧٠).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٠).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٠، ٣٧١)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ١٦٨، ١٦٩).

ج٥/٤٣/ب بنيسابور، فأوصلا إلى الفضل كتابه فقال: إنما أنا واحد/ من الجند، وشدّ عبد الرحمٰن بن جبلة الأنباري على سهل بالرمح ليطعنه، فأمره على جنبه وقال له: قل لصاحبك لو كنت حاضراً لوضعته [في] فيك وسب المأمون[١].

فرجعا إليه بالخبر فقال ذو الرياستين: أعداء استرحت منهم، ولكن افهم عني أن هذه الدولة لم تكن قط أعزّ منها أيام المنصور، فخرج عليه المقنّع وهو يدّعي الربوبية.

وقيل: طلب بدم أبي مسلم، فضعضع العسكر بخروجه بخراسان، و[1] خرج بعده يوسف البرم وهو عند المسلمين كافر، فتضعضعوا أيضاً له، فأخبرني[2] أنت أيها الأمير، كيف رأيت الناس عندما ورد عليهم خبر رافع؟ قال: رأيتهم اضطربوا اضطراباً شديداً، قال: فكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم، كيف يكون اضطراب أهل بغداد؟ اصبر، وأنا أضمن لك الخلافة. قال المأمون: قد فعلت وجعلت الأمر إليك، فقم به، قال ج٥/١٣٦/ط ذو الرياستين: والله لأصدقنك، إن عبد الله بن مالك ومن معه من القوّاد إن/ قاموا لك بالأمر كانوا أنفع لك مني برياستهم المشهورة، وبما عندهم من القوة [على الحرب]، فمن قام بالأمر كنت خادماً له، حتى تبلغ أملك وترى رأيك[٢].

وقام ذو الرياستين وأتاهم في منازلهم، وذكرهم[3] ما يجب عليهم من الوفاء. قال: فكأني جئتهم بجيفة على طبق، فقال بعضهم: هذا لا يحل، اخرج!.

وقال بعضهم: من الذي يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه؟ فجئت وأخبرته[4]، فقال: قم بالأمر! قال: قلت له: قرأت[5] القرآن، وسمعت الأحاديث، وتفقهت في الدين، فأرى أن تبعث إلى من بحضرتك من الفقهاء، فتدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة، وتقعد على الصوف، وترد المظالم، ففعل ذلك جميعه، وأكرمه[6] القوّاد، والملوك، وأبناء الملوك، وكان يقول للتميمي: نقيمك مقام موسى بن كعب، وللربعي نقيمك مقام أبي داود، وخالد بن إبراهيم، ولليماني نقيمك مقام قحطبة، ومالك بن الهيثم، وكل[7] هؤلاء نقباء الدولة

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧١).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٨).

(1) في المخطوطة: ثم.
(2) في المخطوطة: وأخبرني.
(3) في المخطوطة: ذكرهم البيعة.
(4) في المخطوطة: فأخبرته.
(5) في المخطوطة: قد نزلت.
(6) في المخطوطة: ألزم.
(7) في المخطوطة: كان.

العباسية، ووضع عن خراسان ربع الخراج، فحسن ذلك عند أهلها، وقالوا: ابن أختنا وابن عم نبينا[١](1).

وأما الأمين، فلما سكن الناس ببغداد أمر ببناء ميدان حول قصر المنصور بعد بيعته بيوم للصوالجة واللعب، فقال شاعرهم:

بَنَى أَمِيْنُ اللهِ مَيْدانا ... وَصَيَّرَ السَّاحَةَ بُسْتَانا
وَكَانَتِ الغُزْلاَنُ فِيْهِ بَاناً ... يُهْدَى إِلَيْهِ فِيْهِ غِزْلانا[٢]

وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والري، وأهدى إلى الأمين، وكتب إليه وعظّمه[٣].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة دخل هرثمة بن أعين حائط سمرقند، فأرسل رافع بن الليث إلى الترك، فأتوه وصار هرثمة بين رافع والترك، ثم إن الترك انصرفوا فضعف رافع[٤].

وفيها قدمت زبيدة امرأة الرشيد من الرقة إلى بغداد، فلقيها ابنها الأمين بالأنبار(2)، ومعه جمع من بغداد من الوجوه، وكان معه أخوه(3) ابن الرشيد[٥].

وفيها قتل نقفور ملك الروم في حرب برجان، وكان ملك سبع سنين، وملك بعده ابنه استبراق وكان مجروحاً، فبقي شهرين ومات، فملك بعده ميخائيل بن جورجس ختنه على أخته[٦].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٣).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٢، ٣٧٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٨).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٠).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٣)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٣٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٩/ ٢٢٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٨).
(٥) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٣)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ١٦٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٨).
(٦) دكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٦٥٨).

---

(1) في المخطوطة: نبينا ﷺ.
(2) في المخطوطة: بالأنبار هو.
(3) في المخطوطة: أخاه.

وفيها عزل الأمين أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة، وأقرّه على قنسرين والعواصم، واستعمل على الجزيرة خزيمة بن خازم[١].

وحج بالناس هذه السنة: داود بن عيسى بن موسى بن محمد وهو أمير مكة[٢].

الوفيات

وفيها توفي: صقلاب بن زياد الأندلسي ـ وهو من أصحاب مالك ـ وكان فقيهاً زاهداً.

وفي هذه السنة مات: مروان بن معاوية الفزاري، وقيل: سنة أربع وتسعين في ذي الحجة.

وفيها توفي: إسماعيل بن علية، وأبو بكر بن عياش، وله ست وتسعون سنة.

ج٥/١٣٧/ط **عياش**: بالياء المثناة من تحت، والشين المعجمة/.

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٠٤)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٤٢)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٣٧٣).